

تمهيد

هل تؤثر «الشخصيات» و«المذاهب» فى التاريخ؟
بتعبير آخر: هل تؤثر (الذات) فى التاريخ الاجتماعى؟ الذات هنا منظورًا إليها من زاوية
السيكولوجيا الفردية والجمعية، ومن زاوية العقائد الاجتماعية والسياسية.
أم التاريخ مدفوع بـ «الموضوع» فقط..؟ أى بالواقع المادى، أى ذلك الواقع الموجود موضوعيًا
وفى استقلال عن وعى الإنسان به أو معرفته؟
هذا سؤال قديم جديد فى الفلسفة، وقد أثارتها المدارس الماركسية وخلقت من حوله جدلاً
فكريًا خلاقًا طوال قرن ونصف قرن، ودارت بشأنه محاورات فى علوم الفلسفة والاجتماع
والتاريخ، وذهب المفكرون بشأنه كل مذهب.
وقد تمثلت أهم القضايا التى دار بشأنها الحوار فى قضية الحتمية أو الضرورية. فمن
حيث المبدأ، طرح السؤال: هل هناك حتمية أو ضرورة فى الطبيعة والمجتمع أصلاً؟
وفى المجتمع: هل هناك تطور أو تقدم حتمى أو ضرورى؟ وفى حالة الإجابة بنعم، فإن
أصحاب الإجابة اختلفوا حول معنى الحتمية: وهل هى حتمية موضوعية خالصة، مدفوعة
بالواقع الموجود موضوعيًا، أم هى حتمية ذاتية أساساً أى مدفوعة بإرادة الإنسان أو أفكاره أو
رغباته؟ أم الحتمية والضرورة قائمة على مزيج من الذات والموضوع؟
وإننا لنميل إلى الاختيار الأخير. فتحن إذ نسلم بضرورة التطور أو حتمية التقدم
الاجتماعى لبنى الإنسان، فإننا نميل إلى القول أن هذه الضرورة أو الحتمية لا بد أن تقوم على
الحوار الخلاق بين الإنسان ومحيطه الطبيعى - الاجتماعى، أى واقعه. وإنما يتم الحوار
بالإرادة، الإرادة الاجتماعية للجماعات الاجتماعية، والقائمة على مصالح اجتماعية بعينها،
لقوى اجتماعية محددة، تتولد لديها اتجاهات وميول فكرية تتحصل فى العقيدة أو
(الأيدولوجيا)، وتساندها حركات منظمة أو غير منظمة، وأسلوب معين للعمل.
فهل ترانا اقتربنا الآن من موضوع هذا الكتاب؟
يبدو لنا ذلك، فإن موضوعنا هنا هو شخصيات ومذاهب فكرية، دارت فى فلك سائر بين
الثقافة والسياسة، وكانت لها فاعليتها الاجتماعية القوية على المستوى العربى عمومًا والمصرى
خصوصًا.
وقد قدر لنا أن نتناول فى مناسبات متفرقة عديدًا من الشخصيات والمذاهب النافذة فى

تاريخنا العربي والإسلامي، البعيد والقريب، فارتأينا أن نجتمعها معاً بين دفتي هذا الكتاب. فقله أن تتسكب منه أنوار تضيء طريق الأجيال الشابة نحو المستقبل. ويتقسم الكتاب إلى بابين: يتناول الأول شخصيات عربية متنوعة في طابعها ودورها، من على بن أبي طالب إلى طه حسين إلى عبدالناصر، إلى ساطع الحمصري.. إلخ. أما الثاني فيعرض لبعض الرؤى الفكرية المنبثقة في شواهد تاريخ قديم كأبي الهول والهرم، وفي معالم فكر معاصر مثل مفهوم (التحديث) والذي نعارضه بمفهوم آخر مقابل هو (استئناف التطور الحضاري، العربي الإسلامي)، ومثل مفهوم (الليبرالية). ونأمل أن يلتئم شمل الشخصيات والمذاهب التي يؤلف بينها هذا الكتاب ليكون منه فائدة تترجي ونفع قريب.